# حضرموت الثقافية

Hadhramaut AL-Thaqafiah Magazine - June - 2020 نو القعدة ١٤٤١هـ

مجلة فصلية - السنة الرابعة العدد (16)

مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

Hadhramaut Centre for Historical Studies
Documentation and Publication.

## الجوانب الإدارية في الأمثال الحضرمية

ما الذي نقمه ابن عبيدالله السقاف في التواريخ الحضرمية؟

أثر الاغتراب في الأدب علي أحمد باكثير نموذجا

ترجمة مختصرة للشيخ العلامة مُبارك الصَّدَفي الجُوهي

الحزم.. حوطة بين دولتين

من أعلام حضرموت

الشيخ المؤرخ

# عبدالله بن أحمد بن محسن الناخبي

(ت ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)

حضرموت الثقافية

مجلة فصلية

السنة الرابعة العدد (16)

أبريل - يونيو 2020م

تصدر عن مركز حضرموت

للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ محمد سالم بن علي جابر

المشرف العام

أ. د. عبدالله سعيد بن جسّار الجعيدي

رئيس التحرير

د. عبدالقادر علي باعيسى

سكرتير التحرير

أنور سالم باكركر

السكرتير الفني

حسن أحمد بلجعد

التدقيق اللغوي

د. جمال رمضان حديجان

الهيئة الاستشارية

أ.د. عبدالله حسين البار

أ. د. عبدالله صالح بابعير

أ. د. ناجي جعفر الكثيري

أ. د. مسعود سعيد عمشوش

أ.د. خالد يسلم بلخشر

د. حسن صالح الغلام العمودي

د. طه حسين الحضرمي

د. أحمد سعيد عبيدون

د. صادق عمر مكنون

التنفيذ الطباعي

مطابع وحدين الحديثة للأوفست - المكلا

- المواضيع المنشورة تعبّر عن آراء أصحابها ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

- ترتيب المواد جاء وفق ضرورات فنية إخراجية.

- المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتسلمها للنشر، سواء نُشرت أم لم تُنشر. ولا تلتزم بنشر المقالات المرسلة إليها بخط اليد.

مراسلات المجلة

hc.magazine16@gmail.com

Baaesa-١@hotmail.com

موقعنا على الشبكة الإلكترونية

www.hadramout.center

العنوان: المكلا - حي الشهيد - (معهد باشريف سابقًا) - ت. ٢٥٠١٢٥

# محتويات العدد

## حديث البداية


- التآمر على الذات ..... رئيس التحرير ..... 4


## أضواء


- الجوانب الإدارية في الأمثال الحضرمية ..... أ. محمد بن سالم بن علي جابر ..... 8
- بُلْدَانُ وأَمَاكِنُ رَبْدَةِ الدِّيْن والسَّيطان المُجَاورَة لَها ..... محسن علوي باعلوي ..... 13
- ما الذي نقمه ابن عبيدالله السقاف في التواريخ الحضرمية؟ ..... طارق بن محمد سكلوع العمودي ..... 26
- الحزم ... حوطة بين دولتين ..... عبدالكريم محروس ميزان ..... 28


## دراسات


- المظاهر السياسية والحضارية للسلطنة الكثيرية في مدينة الشحر ..... محمد حسين بن الشيخ أبوبكر ..... 37
- علماء حضرموت ودورهم الحضاري خلال القرن الحادي عشر الهجري علماء تريم أنموذجًا. علي سالم باهادي ..... 54
- الأسماك والأحياء البحرية في بحر العرب.. ساحل حضرموت (أنموذجًا) ... عمر خميس بامتيرف ..... 71


## شخصيات


- ترجمة مختصرة لشيخ شيوخنا العلامة الشيخ مُبارك الصَّدَفي الجُوهي ..... د. زين محمد العيدروس ..... 82


## آثار


- النقوش العربية الجنوبية القديمة المكتوبة على الخشب ..... رياض باكرموم ..... 85


## نقد


- أثر الاغتراب في الأدب .. علي أحمد باكثير نموذجًا ..... د. عبدالحكيم الزبيدي ..... 90
- صدق معيار الخطى القصار في شعر المحضار ..... د. هادون العطاس ..... 97


## كتابات


- في شعرية اللامرئي ..... د. سعيد الجريري ..... 105
- في تأبين الشاعر عوض ناصر الشقاع ..... نجيب سعيد باوزير ..... 106


## إبداع


- هي هكذا الدنيا (قصيدة) ..... سالم عبدالله بن سلمان ..... 109
- ذات مياه (قصيدة) ..... ياسر سعيد دحي ..... 109
- سلافة الروح (قصيدة) ..... سعيد محمد بن هاوي باوزير ..... 110
- نوافذ حضرمية على شجن في الطريق (سرد) ..... صالح بحرق ..... 111


## توقيع قلم


- (كما حمار الهجرين) ..... أ.د. عبدالله سعيد الجعيدي ..... 112
- أبو المرتضى ..... د. عمر علوي بن شهاب ..... 114

90
العدد (16)
أبريل
يونيو
2020م

# أثر الاغتراب في الأدب

# علي أحمد باكثير نموذجًا

د. عبدالحكيم الزبيدي

## الاغتراب في اللغة:

يدور معنى مادة (غَرَب) في اللغة حول (الذهاب والبعد)، ومنه (التغريب في الحدود) بمعنى النفي، والغُرْبَةُ والاغْتِرابُ والتغرُّب: النُّزوحُ عن الوَطَن. ورجل غريبٌ: بعيد عن وَطَنِه؛ الجمع غُرَباء(١).

## أسباب الاغتراب:

وللاغتراب أسباب متعددة، وللأدباء والشعراء أحوال مع الاغتراب، فقد يلجأ أحدهم للتغرب عندما يُضام في وطنه، وفي هذا المعنى يقول الشنفرى في لامية العرب(٢):

وفي الأرض مَنْأًى للكريم عن الأذى
وفيها لمن خاف القِلى مُتَحَوَّلُ

وقد يلجأ الأديب للاغتراب عندما تضيق به سبل العيش في وطنه، فلا يجد فيه ما يسد به رمقه، فيضطر إلى ترك وطنه مع شدة حبه له، وهذا ما حدث للقاضي عبدالوهاب المالكي الذي اضطر إلى ترك بغداد وهو يردد أسباب مغادرته لها(٣):

بغدادُ دارٌ لأهل المال طيبةٌ
وللمفاليس دار الضنكِ والضيقِ
ظللتُ حيران أمشي في أزقتها
كأنني مصحفٌ في بيت زنديقِ

إنه الإحساس بالغربة في الوطن، هو الذي جعله يغادر وطنه. وهي الأسباب ذاتها التي جعلت المتنبي يغادر الكوفة ويتنقل بين الأمصار، وفي ذلك يقول واصفًا أسباب اغترابه(٤):

تغرَّب لا مستعظمًا غير نفسه
ولا قابلًا إلا لخالقه حكما

وهو لا يبالي أن يترك موطن اللذات إذا لم يجد فيه ما يستحقه من تكريم، يقول حين غادر حلب(٥):

وَمَا مَنزِلُ اللّذّاتِ عِندي بِمَنْزِلٍ
إذا لم أَبَجَّلْ عِنْدَهُ وَأُكَرَّمِ
سَجِيّةُ نَفْسٍ مَا تَزَالُ مُليحَةً
منَ الضّيمِ مَرْمِيًّا بها كلّ مَخْرِمِ

المُليحة: المشفقة الخائفة، والمخرم: الطريق في الجبل؛ يقول: هذا الفراق سجية نفسي التي هي أبدًا خائفة من أن تُظلم ويُبخس حقُّها من الإكرام، وأنا أرمي بها كل طريق هاربًا بها من الضيم والذل.

على أن للاغتراب إيجابياته أيضًا، فقد كانت العرب تمدح الاغتراب وتحث عليه؛ لأنه يشحذ القرائح، ويلقح الأفهام عن طريق التواصل مع الثقافات الأخرى، وقد

91
العدد (16)
أبريل
يونيو
2020م

كان العرب في الجاهلية يرسلون أطفالهم إلى البادية لينشأوا هناك نشأة صحية بعيدة عن تلوث بيئة المدن، ولتستقيم ألسنتهم على طرائق العرب في اللغة، بعيداً عن لحن المدينة التي لوثها الاختلاط بالأعاجم. ومن الأبيات المشهورة التي تحث على الاغتراب في طلب العلم، قول الشاعر، وينسب للإمام الشافعي(٦):

تغرَّبْ عَنِ الأَوْطَانِ فِيْ طَلَبِ العُلَى
وسافِرْ ففي الأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ
تَفَرُّجُ هَمٍّ، واكتِسَابُ مَعِيْشَةٍ
وَعِلْمٌ، وَآدابٌ، وصُحْبَةُ مَاجِدِ

ومن فوائد السفر أيضًا غير طلب العلم واكتساب المعيشة، التجدد، وفي هذا المعنى يقول أبو تمام(٧):

وطولُ مقامِ المرءِ في الحي مخلقٌ
لديباجتيهِ فاغتربْ تتجددِ
فإني رأيْتُ الشَّمسَ زيدتْ مَحَبَّةً
إلى النَّاس أن ليْسَتْ عليهمْ بِسرْمَدِ

ولعل المقصود بالتجدد هو التواصل مع الثقافات الأخرى والتلاقح معها مما يشحذ الذهن، وينمي المعرفة الإنسانية، ويجعل المرء يعيد النظر في بعض الأفكار التي كان يعدها من المُسَلَّمات لديه، وربما من هذا القبيل ما قيل عن الإمام الشافعي أنه غيرَّ في فتاواه حين استوطن مصر.

ويمضي الشعراء في استنباط الأدلة على أهمية التغرب، فمن ذلك أن الشمس لو لم تغرب لملها الناس، والماء إذا ركد يفسد، يقول الشاعر وينسب للإمام الشافعي(٨):

إني رأيت ركود الماء يفسده
إن ساح طاب وإن لم يجر لم يطبِ
والتِّبرُ كالتُّرب مُلقى في أماكنه
والعود في أرضه نوع من الحطبِ

وفي البيت الثاني يشير الشاعر إلى مسألة مهمة من طبائع البشر، وهي أن المواهب لا تقدر حق قدرها في مواطنها، فالعود في أرضه نوع من الحطب، وقد قيل في الأمثال:

الأديب علي أحمد باكثير

مغنِّي الحي لا يُطرب، وقيل أيضًا: لا كرامة لنبي في وطنه. ولدينا من سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ما يؤكد هذا المعنى، فلولا الهجرة إلى المدينة لما انتصر الإسلام وانتشر.

والشعراء والأدباء هم من أكثر الفئات التي تتعرض للاغتراب، إما لطلب العلم، أو لكسب الرزق، أو أنفةً من الظلم، كما أسلفنا.

ولم يزل هذا دأبهم في القديم والحديث. ففي العصر الحديث نجد كثيراً من أدباء الشام وشعرائها قد اغترب في مصر، منهم على سبيل المثال لا الحصر: خليل مطران، وإيليا أبو ماضي الذي قال عن مصر(٩):

أحنى على الحرِ من أم على ولدٍ
فالحر في مصرَ كالورقاء في الحرمِ

ومنهم من اغترب أبعد من ذلك إلى الأمريكتين، كإيليا أبو ماضي نفسه، وجبران خليل جبران، وغيرهما.

## اغتراب باكثير:

وإذا انتقلنا إلى الأديب علي أحمد باكثير، سنجد أنه اغترب مرتين: المرة الأولى من بلد مولده (إندونيسيا) إلى حضرموت بلد آبائه وأجداده، والاغتراب الثاني كان من موطن آبائه حضرموت إلى مصر عاصمة العروبة وحاضرتها. وعن أثر هذا الاغتراب في أدب باكثير، تدور مداخلتنا هذه.

**الاغتراب الأول:**

ولد الأديب علي أحمد بـــاكثير عام ١٩١٠م في مدينة (سروابايا)، وهي مدينة تتبع لما كان يُعرف حينها بـجزر الهند الهولندية، وأصبـــح يُعرف بـــعد الاستقـــلال بإندونيسيا. وقـضى بـاكثير عشرة أعوام من عمره في تلك البقاع الخضراء ذات المناخ الاستوائي. ولو قدر له أن يظل هناك طيلة عمره، لما تمكن من علوم العربـية إلى الحد الذي يصبح فيه شـاعراً يمتلك عنان القـريض. ولكن كان من العادات الحميدة للتجار الحضارمة المغتربين في إندونيسيا ومنهم والد الأديب بـــاكثير، أنهم درجوا على إرســـال أبنائهم إلى حضرموت حـين يبـلغون العاشرة من العمر، لينشأوا هناك نشأة عربـية إسـلامية، ويتربـوا على عادات أهلهم وتقاليدهم ومثلهم ومآثرهم. حتى إذا بلغوا مبـلغ الرجال عادوا إلى مغتربهم ليواصلوا رحـلة البحـث عن الرزق. ومن هذا الجيل كان الأديب علي أحمد باكثير الذي سافر به أبوه إلى حضرموت حـين بـلغ العاشرة من عمره، فكان هذا هو الاغتراب الأول في حـياته. وقـد حـوّل هذا الاغتراب مسـار حـياته، فتعلم في حـضرموت العربـية، وتفقه في علوم الدين، ودرس الحديث والفقه، وأكب على أمَّات الكتب التراثية في الشـــعر والأدب والبـــلاغة. وظهرت مواهبه الأدبية مبكراً، فنظم الشعر وهو في الثالثة عشرة من عمره، وحـين توفي والده، رثاه بقـصيدة جزلة قوية الألفاظ، لا يخطر في بال قـارئها اليوم أن ناظمها يافع لم يجاوز الخامسة عشرة من عمره، مطلعها(١٠):

عبثًا تحاول أن تُكفكفَ الأدمعا
وأبوك أمسى راحلًا مستودعا
كيف السلو وما مررتَ بموضعٍ
إلا وساد الحزنُ ذاك الموضعا

ولم يبلغ باكثير العشرين من عمره إلا وقـد أحـاط بـكل كتب الأدب القديم، وكتب التفسير والحديث والسـيرة، وتمكن من علمي النحـو والعروض. يظهر ذلك واضحًا من خلال ثقافته التي انعكست في أعماله الأدبية، وكتابـاته النقدية المبكرة. فقـد كتب اسـتدراكًا على كتاب (الموازنة للآمدي)(١١)، ناقـش فيه كثيرًا من تحامله على أبي تمام ورد عليه، وهو لم يبلغ العشرين من عمره بعد. كما كتب مقـالاً بـعنوان (ملاحـظات سـائح في ديوان ابـــن زيدون)(١٢)، صحح فيه كثيرًا من الأخطاء التي وقـع فيها محققـا ديوان ابـــن زيدون، مما يدل على ســـعة اطلاعه على كتب الأدب وتضلعه منها. كما كتب قـــصيدة عن الإمام الغزالي تدل على أنه اطلع على مؤلفاته واستوعبها(١٣).

ولأن بيئة حضرموت في ذلك الوقـت كانت منعزلة عن رياح التطور الأدبي التي شهدتها مصر والشام، فلا عجب أن يكون إنتاج بـــاكثير الأدبي في تلك المرحـــلة انعكاسًا لتشبـعه من التراث العربي القـديم، فيأتي تقـــليداً له. ولذا رأيناه في شعره الذي نظمه في تلك المرحـلة يترسـم خطى فحول شـعراء الجاهلية، فيقـف على الأطلال، ويكثر من الألفاظ الغريبة، ومن ذلك قوله(١٤):

لمن طللٌ تحاكيه الوشومُ
عفت منه المعالمُ والرُّسومُ
يحاكي مُصحفًا من عهد عادٍ
بخط الحميريِّ له رقومُ
ترحَّلَ عنه أحبابي جميعًا
وخلَّوني تساورني الهُمومُ
وخلَّوني هناك رهينَ سُقمٍ
تُساهرني الكواكبُ والنُّجومُ
ووادٍ مثلَ جوفِ العيرِ صَفرٍ
فريتُ وليلُه ليلٌ بهيمُ
فريتُ هجولَه والليلُ مُرخٍ
دُجاه وقد تجاوبَ فيه بُومُ

إلى آخرها.

وكما جاء شعره غارقًا في التقليد، جاء نثره أيضًا غارقًا في السجع والتكلف، على طريقة النثر في عصور الانحطاط الأدبي التي تشبع منها باكثير. وخير نموذج لنثره في تلك المرحلة، التقريظ الذي كتبه لكتاب ألفه أستاذه محمد بن عوض بافضل في مناقب قبيلته، وطلب من باكثير أن يقدمه بتقريظ، فكتب يقول(١٥):

«الحمد لله الذي أورد من شاء مناهل العلوم، وأتحف من أراد بثاقبات الفهوم. أحمده على نعمه، وأشكره على قسمه. وأصلي وأسلم على النبي المعظم، والرسول المكرم، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد، فقد اطلعت على كتاب (صلة الأهل بتدوين ما تفرق من مناقب بني فضل) للعالم العلامة، الحَبر الفهّامة، العلمِ الشهير، والبحرِ الغزير، المحققِ المدقق، والغيثِ المغدق، فريدِ عصره، ووحيدِ دهره، سحبانَ(١٦) بلاغة وخطابة، وابنِ مُقلة(١٧) خطًا وكتابة، جامعِ أشتات الفضل، الشيخِ محمدِ بن عوض بافضل، لا زال رافلاً في حلل السلامة والعافية. فسرّحتُ النظر في أزهار رياضه، وأجلتُ الطرف في أشجار غياضه، وتنزهتُ في حدائقه البهيّة، وتفكهتُ بفواكهه الجنيّة، فوجدته يقطر بلاغة، ويندى صياغة، يُدّخر لنفاسته، ويُشرب لسلاسته:

تزينَ معانيه ألفاظَه وألفاظُه زائناتُ المعاني

كتاب يُزري بعقد الثُّريّا، ويخجل زهرَ الروضِ الباسمَ المُحيّا، كتاب أغلى من السَّلامة من المصائب، وأحلى من رسائل القاضي الفاضل(١٨) والصاحب(١٩). كتاب كسته بهجة الحسن رونقًا هو السِّحر، لا بل جلَّ قدرًا عن السِّحر. كتاب يهزأ بالعقود اللؤلؤية(٢٠)، ويفوق على الصِّحاح الجوهرية(٢١). هو السِّحر الحلال، أو الماء الزلال. حريٌّ أن يُكتب بدموع الحور، على صفحات ربّات الخدور. كتاب يُزري بلآلئ البحور، ودراريِّ النُّحور. فهو مُفيد علوم، ومُبيد هموم. لا عيب فيه ولا شين، إلا أنه محتاج إلى ما يقيه من العين:

شخص الأنامُ إلى صنيعك فاستعذْ
من شرِّ أعينِهم بعيبٍ واحدِ

فجعلتُ هذا التقريظ له من العين وقاية، ومن شرِّ الحسَّاد حماية:

جعلتُ تقريظي له عُوذةً تقيه من شرِّ أذى العينِ».

## الاغتراب الثاني:

غادر باكثير حضرموت، وهو في العشرين من عمره، بعد أن فُجع بوفاة زوجته وهي في غضارة الشباب ونضارة الصبا، بالإضافة إلى ما لقيه من أذى نتيجة لدعوته الإصلاحية في ذلك المجتمع الذي كان غارقًا في البدع الدينية، والتخلف الحضاري، والفوضى القبلية. فغادر حضرموت هائماً على وجهه. فقصد مدينة (عدن) وأقام فيها برهة في ضيافة الشاعر المعروف محمد علي لقمان. ثم غادرها إلى الحجاز حيث أقام فيها قرابة عام ونصف متنقلاً بين مكة والمدينة والطائف. وفي الحجاز اطلع لأول مرة على مسرحيات شوقي الشعرية، وكان على اطلاع على شعر شوقي وحافظ وهو في حضرموت، ولكن لم يتح له الاطلاع على مسرحيات شوقي الشعرية إلا في أثناء إقامته بالحجاز، فانبهر بها، وكتب على منوالها مسرحيته الشعرية الأولى (همام أو في بلاد الأحقاف). وكان هذا أول ثمار الاغتراب الثاني في فكر باكثير؛ إذ تغير مفهومه للشعر من أنه تعبير ذاتي عن مشاعر الشاعر نفسه وأفكاره، إلى مفهوم أوسع، حيث يمكن أن يعبر الشعر عن مشاعر أشخاص آخرين غير الشاعر وأفكارهم، فيكون حواراً فيما بينهم. ومن الغريب - كما يقول باكثير نفسه - أنه استطاع تقليد مسرح شوقي الشعري منذ أول لقاء به. وقد كانت نفسه تجيش في تلك الآونة بمشكلة

وطنه (حضرموت)، ومأساة فقد زوجته، فجعل ذلك موضوعًا لمسرحيته الشعرية الأولى. وقد جاءت هذه المسرحية ضعيفة البناء فنيًا، ولكن كان فيها شعر جزل، كما يقول باكثير نفسه(٢٢).

ثم قدم باكثير إلى مصر عام ١٩٣٤م، والتحق بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حاليًا)، ودرس الأدب الإنجليزي، وهنا حدث الأثر الأكبر في مفهوم الشعر عنده. فقد ذكر باكثير أنه حين اطلع على الشعر الإنجليزي، وشعر شكسبير خاصة أصابته هزَّة، وتغيرت نظرته للشعر، حتى إنه توقف برهة عن نظم الشعر، ثم عاد إلى كتابته بروحٍ جديدة وفهم جديد(٢٣). وكان ثمرة هذا اللقاء بالأدب الإنجليزي أن كتب باكثير ما أصبح يُعرف اليوم بالشعر الحُر، وأسماه هو (الشعر المرسل المنطلق)، فكان بذلك رائد هذا النمط من النظم في اللغة العربية. وكانت أول تجربة له في كتابته وهو ما يزال طالبًا في الجامعة، حيث ترجم مسرحية (روميو وجولييت) لشكسبير، التي كانت مقررة عليهم في منهج تلك السنة الدراسية، ترجمها بالشعر الحر تحديًا لأستاذه الإنجليزي الذي قال في قاعة الدرس إن الإنجليز انفردوا بكتابة الشعر المرسل (الحُر كما نسميه اليوم)، وإن الفرنسيين حاولوا تقليدهم ففشلوا، ومن المؤكد أنه لا وجود له في لغتكم العربية. فانبرى باكثير ليؤكد لأستاذه أنه ليس هناك ما يمنع من وجوده في العربية؛ لأنها لغة طيعة تتسع لكل أنواع التعبير الأدبي، فسخر منه الأستاذ. فأحس باكثير أن عليه أن يرد عليه بالفعل لا القول. وكان باكثير يفكر من قبل في هذا الأمر، ولكن هذا التحدي من أستاذه جعله يعجل بالتجربة(٢٤). وكانت ترجمته تلك في سنة ١٩٣٦م، وبعدها بعام كتب مسرحيته الأولى بالشعر الحر وهي (أخناتون ونفرتيتي) ونشرها عام ١٩٤٠م، وقد استفاد من تجربته الأولى في ترجمة (روميو وجولييت)، وذلك بأن صاغ مسرحيته كلها على تفعيلات بحر (المتدارك)، الذي رآه أصلح البحور لهذا الضرب من الشعر، بعد أن كان قد استخدم تفعيلات بحور متعددة في (روميو وجولييت)، ولكنها كلها من ذوات التفعيلة المتكررة، وهي التي أسمتها نازك الملائكة بعد ذلك بالبحور الصافية.

وهذا مقطع من مسرحية (أخناتون ونفرتيتي) للتعرف على تجربة باكثير الرائدة:

المنظر الثاني، من حوار بين أخناتون وأمه الملكة (تي) بعد وفاة زوجته (تادو)(٢٥):

الأمير: تادو! لن أنساكِ يا تادو!
لن أسلو حبك يا تادو!
لن أعشق غيرك يا تادو!
لن أفرح بعدك يا تادو - لن أعيش.

تي: لا بل سيطول بقاؤك يا أمنوفيس
وستختار جوهرة أخرى لا تنقص عن تادو.

الأمير: لا توجد في الأرض جوهرة مثل تادو
وأحسبها غير موجودة في السماء.
طالما كانت تستيقظ في الأسحار فتكتم أنفاسها
وتقبّل ما بين عيني في رفق حتى لا توقظني.
وأسارقها الطرف حينًا فحينًا فألمحُ في
شفتيها ارتعاش الصبي قد اختلس الحلوى
من مخدع جدته الشمطاء وفي عينيها
اغتباط الطفل تملأ من ثدي أمها!
ثم يغزو التثاؤب فاها الجميل،
ويلوذ النعاس بأهدابها فتميل إلى
جنبي وتعود إلى نومها في طمأنينة وغرارة.

تي: ويح لك يا ولداه!

الأمير: ما أنس من الأشياء فلن أنسى
ما كنا نخرج في أنفاس الصباح الجديد
إلى الروض المطلول فننساب بين الغصون
نبلل أوجهنا بالطل النضيد

ونسير على العشب المنضور
ونعدو هنا وهناك على المَرج المسحور
ونجمع شتى الأزاهير ننظمها مثل الإكليل
ونجري وراء الفراش الجميل
نطارده من غصن لغصن فأمسكه فتشير
علي بإطلاقه من جديد فأطلقه فيطير
فترنو إليه وفي فمها بسمة بيضاء
كما يبسم الأريحي الكريم ارتاح لفك أسير!
تي: ما أرق فؤادك يا ولداه!

إلا أن بـــاكثير لم يواصل تجربـــته الرائدة تلك -مع الأسف- نظرًا للفتور الذي قوبـلت بـه. وانصرف إلى كتابـة المسرحـية النثرية والرواية. وهكذا لم يقـــدر لهذا الضرب من الشعر أن يشتهر وينتشر إلا بعد عشر سنوات من تجربـة بـاكثير الرائدة، أي عام ١٩٤٦م وذلك على يد بدر شـاكر السـياب ونازك الملائكة، وأن تنطلق التجربـة هذه المرة من العراق، لا من مصر.

وظل باكثير يكتب قصائده على النمط العمودي، إلا أن شعره كان قد تطور فأصبحت ألفاظه مأنوسـة، وتعابـيره أكثر ألفة. وكان ينشر قـصائده في مجلة (الرسـالة)، ومجلة (أبولو). ومن أمثلة قصائده تلك هذه القصيدة(٢٦):

## أمس

يا حبيبـي بـرد العقـدُ ولم ... يبـرد على الرشـف صداي
وانقـضى أو أوشـك الليل ... ولمَّا أقـضِ من فيك مُناي
أه ما أحـــلاكَ في قلبـــي ... وعيني وذراعي ولســـاني
ليتني أفنى بـــــعينيك ... فأحـــيا في نعيمٍ غيرِ فانِ
لو عبـرنا الدّهر ضمًا واعتناقًا ... لا أرى يُشـــفى غليلي
يا حياتي ساعةٌ تعدل منك ... الدّهرَ ليســت بالقـــليلِ
أنـــتَ دنيـــاي ودينـــي ... ومعـــادي وهـــداي
ليت شعري عنك يا روحـي ... أنفسـي أنت أم أنت سـواي؟
يا حـــياة الروح هل صاغكَ ... ربـــي من فؤادي وهواه
أم بـراني الجسـدَ الهامدَ مَن ... أودع لي فيكَ الحـــياه؟
ذاك أو هـــذا فـــإنّا ... مهجةٌ في جســـدين
فإذا نحـــنُ اعتنقـــنا ... فمُصـلٌ ضـمَّ لله اليديـن

## واليوم

وانطوى العهدُ وأفردتُ لأشقى ... عائشـــا في نصفِ روحِ
ليته نصفٌ ســـــليمٌ ... غير ممنيٍّ بأشـتاتِ الجروحِ
فلأمتْ بـعدكَ كي ألقـاك ... أو فلأحـيَ بـالذكرى لحـينْ
وعزائي في يقـــــين ... أنني ألقـاكَ في دار اليقـينْ

نجد هذه القـصيدة تتدفق حـيوية، وتنطق بـالصدق والمعاناة، مع سلاسـة في الألفاظ، وجمال في الأسـلوب، دون تقعر أو تكلف.

ولنوازن قطعته النثرية تلك في التقريظ بما فيها من سجع متكلف، وصور مصنوعة، بهذه القـطعة من رواية (وا إسلاماه) التي يصف فيها زواج (قطز) و(جلنار)(٢٧):

«وانتصـف الليـل، وانفضـت جمـوع المدعويـن والمدعوات، وسـكتت أصوات الغناء، وألحان المزاهر والعيدان، وخفتت الطبول، وسكنت حركات الرقـص، وتناعسـت عيون المصابـيح، وأخذ الخدم يرفعون الموائد ويطوون الأخونة، وآوت الجواري إلى مخادعهن بـين الفرح والحسرة، وأرخيت السـتائر على الجناح الميمون، وخلا الحبيبان السعيدان.

فطاب اللقـاء وسـاد الصفاء، وسـالت دموع الفرح، وتحدث القـلب إلى القـلب ولذت الشـكوى، ورقـت النجوى، وتذوكرت ذنوب الزمان ثـم غُفـرت لـه دفعـة واحدة. ومرت اللحظات، كأنها حبـات عقـد من اللؤلؤ النضيد وهى سـلكه فانتثر، وقـرت بـنعيم الوصل عيون طالما أسهدها البـين الطويل، فما كانت تنطبـق إلا على لوم نافذ، ومضجع قلق، فمشى إليها النعاس مترفقًا يستعتبها فأعتبته، وضمته في شوق بين أهدابها الساجية. فرقد اثنان الحب ثالثهما تحوطهما بسمات الله ورضوانه. وتحقـق حـلم في الأرض، وأجيبت دعوة في السماء انطلقت من فم رجل صالح. واطمأنت روحـا امرأتين غرقـتا في نهر السـند، وكانتا كثيرًا ما تنظران إليهما صغيرين يلعبـان في حديقـة

القصر الملكي بغزنة فتتمنيان أن تريا مثل هذا اليوم.

حتى تنفس الصبح وبرد السوار، فهب العروسان مذعورين يخشيان أن يكون ما كانا فيه رؤيا في المنام، والتمس أحدهما الآخر في نور الغبش، فإذا هما متعانقان».

هذا هو الأدب الذي تعشقه النفوس وترتاح إليه الأسماع، وهو صادر عن عاطفة صادقة، ذلك أن باكثير، وإن كان يصف هنا عرس قطز وجلنار، فإنه كان في الحقيقة يصف عرسه هو بمحبوبته التي اغتصبتها يد المنون وهي في ميعة الصبا وريعان الشباب، قبل أن تجف رياحين عرسهما. فجاء وصفه يقطر صدقًا ويندى عاطفة.

## خاتمة:

وهكذا رأينا كيف أثر الاغتراب في أدب علي أحمد باكثير، فبعد أن كان يعد نفسه ليصبح شاعرًا كبيرًا مثل شوقي وحافظ، إذا به بعد قدومه إلى مصر، واطلاعه على الأدب الإنجليزي، وبخاصة أدبِ شكسبير، يسلك طريقًا آخر، فيتجه أولاً إلى كتابة الشعر الحر، ثم يبدأ في كتابة المسرحية والرواية، حتى ينصرف إليهما انصرافًا كاملاً، فيترك لنا ٦ روايات، و٦ مسرحيات شعرية، وأكثر من ٦٠ مسرحية نثرية، ويبقى الشعر على الهامش من اهتماماته الإبداعية فيلقى وجه الله قبل أن ينشر أعماله الشعرية الكاملة في ديوان.

---

الهوامش:

١) ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي: لسان العرب، دار صادر، بيروت، د. ت، ج١، ص٦٣٩.

٢) المصري، عطاء الله بن أحمد: نهاية الأرب في شرح لامية العرب، دراسة وتحقيق: د. عبدالله محمد عيسى الغزالي، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية الثانية عشرة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص٤٠.

٣) ابن خلكان: أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م، ج٣، ص٢٢١.

٤) البرقوقي، عبدالرحمن: شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٠م، ج٤، ص٢٣٣.

٥) المرجع السابق، ج٤، ص٢٦٣.

٦) الطباع، عمر فاروق: ديوان الإمام الشافعي، دار الأرقم، بيروت، د. ت، ص٦٠.

٧) التبريزي، الخطيب: شرح ديوان أبي تمام، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٢م، ج١، ص٢٤٦.

٨) الطباع، عمر فاروق: ديوان الإمام الشافعي، مرجع سابق، ص٣٩.

٩) أبو ماضي، إيليا: لكن مصرًا، مجلة (الزهور)، الجزء الخامس، السنة الرابعة، يوليو (تموز) ١٩١٣م، ص٢٥٧.

١٠) باكثير، علي أحمد: ديوان أزهار الربى في شعر الصبا، تحقيق وتقديم: محمد أبوبكر حميد، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ص٢٥١.

١١) نشره في مجلة (التهذيب) التي كان يصدرها مع نخبة من أدباء سيئون بين عامي ١٣٤٩هـ و١٣٥٠هـ.

١٢) كتبه في أثناء إقامته بعدن، ونشرته مجلة (المعرفة) المصرية في عدد ديسمبر ١٩٣٢م.

١٣) باكثير، علي أحمد: ديوان أزهار الربى في شعر الصبا، مرجع سابق، ص٢٢٩- ٢٣٢.

١٤) المرجع السابق، ص١٤١- ١٤٢.

١٥) بافضل، محمد بن عوض: صلة الأهل بتدوين ما تفرق من مناقب بني فضل، د. ن، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٦) خطيب مخضرم من وائل يضرب به المثل في البلاغة (ت ٥٤هـ).

١٧) أبو علي محمد بن علي بن الحسين بن مقلة الشيرازي (ت ٣٢٨هـ)، من أشهر خطاطي العصر العباسي.

١٨) عبدالرحيم بن علي بن محمد اللخمي (ت ٥٩٦هـ) أحد الأئمة الكتّاب، ووزير السلطان صلاح الدين الأيوبي.

١٩) أبو القاسم إسماعيل بن عباد (ت ٣٨٥هـ) أحد أعيان العصر البويهي، كان من نوادر الوزراء الذين غلب عليهم العلم والأدب.

٢٠) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تأليف: علي بن الحسن الخزرجي (مؤرخ، بحاثة، من أهل زبيد في اليمن، ت ٨١٢هـ).

٢١) تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ).

٢٢) حميد، محمد أبوبكر: أحاديث علي أحمد باكثير، دار المعراج، الرياض، ١٩٩٧م، ص١٩٠.

٢٣) المرجع السابق، ص١٩٢.

٢٤) المرجع السابق، ص١٩٣.

٢٥) باكثير، علي أحمد: أخناتون ونفرتيتي، مسرحية شعرية، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٦٧م، ص٤٤- ٤٦.

٢٦) نشرت في مجلة (أبولو)، العدد (٤)، المجلد (٣)، ديسمبر ١٩٣٤م.

٢٧) باكثير، علي أحمد: وا إسلاماه، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د. ت، ص٢٠٦- ٢٠٧.